

﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [يوسف: 6]

### ✽ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

كما أكرمك ربك  
بهذه الرؤيا،  
يستخلصك  
بالنبوة ويحسن  
إليك بتحقيق  
الرؤيا

لما علم يعقوب ﷺ من هذه الرؤيا ما سيصير إليه ولده من النبوة والملك قال: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ﴾ أي قد اجتباك ربك للاطلاع على هذه الرؤيا العظيمة الدالة على شرف وعزٍّ، ومثل ما اجتباك لها ﴿يَجْتَبِيكَ﴾ أي يختارك ويجمع لك معالي الأمور<sup>(1)</sup>.

### ✽ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿يَجْتَبِيكَ﴾: أصل (جبي) يدل على جمع الشيء والتجمع<sup>(2)</sup>، فالاجتباء: الجمع على طريق الاصطفاء، واجتباءه لنفسه: اختاره واصطفاه، وهو مشتق من جبيت الشيء إذا خلصته لنفسك<sup>(3)</sup>، أو خلصته لنفسك<sup>(4)</sup>، "واجتباء الله العبد: تخصيصه إياه بفيض إلهي يتحصل له منه أنواع من النعم بلا سعي من العبد، وذلك للأنبياء وبعض من يقاربهم من الصديقين والشهداء"<sup>(5)</sup>. والمراد بـ ﴿يَجْتَبِيكَ﴾: يختارك ويصطفيك لنبوته<sup>(6)</sup>.

(2) ﴿تَأْوِيلُ﴾: من آل يؤول، أي: رجع، ومنه تأويل الكلام، وهو عاقبته وما يؤول إليه<sup>(7)</sup>، والتأويل: تفسير ما يؤول إليه الشيء، وأوله

(1) البقاعي، نظم الدرر: 10/18.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (جبي).

(3) ابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (جبي).

(4) الأزهري، تهذيب اللغة: (جبا).

(5) الزاغب، المفردات: (جبي).

(6) ابن جرير، جامع البيان: 15/560، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/371.

(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أول).

تَأْوِيلًا وَتَأْوَلُهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ<sup>(1)</sup>، وَتَأْوَلَهُ: دَبَّرَهُ وَقَدَّرَهُ وَفَسَّرَهُ<sup>(2)</sup>؛ لِتَبَيَّنَ حَقِيقَتُهُ؛ أَيِ الْمَرَادُ بِهِ، وَمِنْهُ تَأْوِيلُ الرَّؤْيَا أَيِ: اسْتِخْلَاصُ مَا يَتَحَصَّلُ مِنَ الرَّمُوزِ وَالْأَلْفَافِ، أَيِ الْمَرَادُ إِبْلَاحُ الرَّائِي إِيَّاهُ بِهَا<sup>(3)</sup>، وَالتَّأْوِيلُ: الرَّجُوعُ إِلَى الْأَصْلِ، وَهُوَ رُدُّ الشَّيْءِ إِلَى الْغَايَةِ الْمُرَادَةِ مِنْهُ قَوْلًا كَانَ أَوْ فِعْلًا<sup>(4)</sup>. وَمَعْنَى ﴿تَأْوِيلٍ﴾ فِي الْآيَةِ: تَعْبِيرُ الرَّؤْيَا، وَالْإِخْبَارُ بِمَا تَوَوَّلَ إِلَيْهِ فِي الْوُجُودِ<sup>(5)</sup>.

(3) ﴿الْأَحَادِيثُ﴾: جَمْعُ (حَدِيثٍ)، أَصْلُهُ مِنْ (حَدَثَ)، وَهُوَ كَوْنُ شَيْءٍ لَمْ يَكُنْ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ؛ لِأَنَّهُ كَلَامٌ يَحْدُثُ مِنْهُ الشَّيْءُ بَعْدَ الشَّيْءِ<sup>(6)</sup>، وَالْحَدِيثُ: نَقِيضُ الْقَدِيمِ، وَالْحَدِيثُ: الْخَبَرُ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ، وَهُوَ مَا يُحْدِثُ بِهِ الْمُحَدَّثُ تَحْدِيثًا، وَاسْتَحْدَثْتُ خَبْرًا، أَيِ وَجَدْتُ خَبْرًا جَدِيدًا<sup>(7)</sup>، "وَكُلُّ كَلَامٍ يَبْلُغُ الْإِنْسَانَ مِنْ جِهَةِ السَّمْعِ، أَوْ الْوَحْيِ فِي يَقْظَتِهِ، أَوْ مَنَامِهِ، يُقَالُ لَهُ: حَدِيثٌ"<sup>(8)</sup>، وَمَعْنَى ﴿الْأَحَادِيثُ﴾ فِي الْآيَةِ: الرَّؤْيَا، أَيِ: أَحَادِيثُ النَّاسِ عَمَّا يَرُونَهُ فِي مَنَامِهِمْ، وَقِيلَ: أَحَادِيثُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأُمَمِ<sup>(9)</sup>.

### ❁ الْمَغْنَى الْإِجْمَالِي:

قال يعقوبُ لابنهِ يوسفَ: وكما أراك ربُّكَ هذه الرؤيا فكذلك يصطفيك للنُّبُوَّةِ، وَيَعْلَمُكَ مِنْ عِلْمِ مَا يُوَوَّلُ إِلَيْهِ أَحَادِيثُ النَّاسِ، عَمَّا يَرُونَهُ فِي مَنَامِهِمْ، وَذَلِكَ تَعْبِيرُ الرُّؤْيَى، وَمِنْ مَعَانِي كُتُبِ اللَّهِ وَسُنَنِ الْأَنْبِيَاءِ، وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ بِالنُّبُوَّةِ وَالرَّسَالَةِ،

البُشْرَى  
بالاجْتِبَاءِ  
والتَّعْلِيمِ،  
وإِتِمَامِ النِّعْمَةِ  
عَلَى يَوْسُفَ،  
وعلى آلِ يَعْقُوبَ

(1) الزَّازِي، مَخْتَارُ الصَّحَاحِ: (أَوَّل).

(2) الرَّبِيدِي، تَاجُ الْعُرُوسِ: (أَوَّل).

(3) جَبَل، لِلْعَجْمِ الْاِشْتِقَاقِي لِلْوُضَلِ: (أَوَّل).

(4) الزَّازِي، لِلْفَرْدَاتِ: (آل).

(5) الْبِيضَاوِي، أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ: 3/155، وَالزَّحِيلِي، التَّفْسِيرُ الْوَسِيطُ: 2/1092.

(6) ابْنُ فَارِسٍ، مَقَايِيسُ اللَّغَةِ: (حَدَث).

(7) الْجَوْهَرِيُّ، الصَّحَاحُ، وَالرَّبِيدِيُّ، تَاجُ الْعُرُوسِ: (حَدَث).

(8) الزَّازِي، لِلْفَرْدَاتِ: (حَدَث).

(9) الْوَاحِدِيُّ، التَّفْسِيرُ الْبَسِيطُ: 12/24، وَأَبُو حَيَّانٍ، الْبَحْرُ لِلْحَيْطِ: 6/255.

كما أتمّها من قبلُ على أبويك إبراهيمَ وإسحاقَ بالنبوةِ والرّسالةِ،  
إنَّ ربَّكَ عليمٌ بمن يصطفيه من عباده، حكيمٌ في تدبيرِ أمورِ خلقه<sup>(1)</sup>.

### ❁ الإيضاح اللّغويّ والبلاغيّ:

#### دلالة الواو في قوله ﴿وَكَذَلِكَ﴾:

الواو عاطفة، عطفت قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ على تحذيره من قص الرّؤيا على إخوته ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ﴾؛ إعلاماً له بعلوّ قدره ومُستقبلِ كماله، كي يزيد تملّياً من سُمُو الأخلاق فيَتَسَّع صدره لاحتمالِ أذى إخوته، وصَفَحاً عن غيرتهم منه وحسدِهِم إيّاه؛ لِيَتَمَحَّضَ تحذيره للصّلاح، وتَنَفِّيَ عنه مفسدة إثارة البغضاء ونحوها، حِكْمَةً نبويّةً عظيمةً وطِبّاً روحانياً ناجحاً<sup>(2)</sup>.

#### بلاغة التشبيه في: ﴿وَكَذَلِكَ﴾:

المشارُ إليه في قوله: ﴿وَكَذَلِكَ﴾ هو ما دلّت عليه الرّؤيا من العناية الرّبّانيّة به، أي ومثّل ذلك الاجتباءِ يجتبيكَ رَبُّكَ في المستقبل. والكافُ للتشبيه "والتشبيه هنا تشبيهٌ تعليلي؛ لأنّه تشبيه أحد المعلولين بالآخر لاتحاد العلّة"<sup>(3)</sup>، والمعنى: وكما اجتباك لمثل هذه الرّؤيا العظيمة الدّالة على شرفٍ وعزٍّ وكبرياءٍ شأنٍ، كذلك يجتبيكَ ربُّكَ لأُمورٍ عظام<sup>(4)</sup>، وهذا فيه بشرى ليوسفَ وتهيئةٌ وإعدادٌ له لما سيكون من أمرِ نبوّته.

#### سرُّ إيتار لفظ الاجتباء في ﴿يَجْتَبِيكَ﴾:

آثر البيان القرآني استعمال مُفردة (الاجتباء) في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ﴾ دون غيرها مثل الاصطفاء أو الاختيار، لأُمورٍ منها:

عطفٌ فيه  
إعلامٌ بعلوّ  
قدرِ يوسفَ،  
ومُستقبلِ كماله

اجتباءُ يوسفَ  
يبدو في تعليل  
وتبشيرٍ، وتهيئةٍ  
لشأنٍ عظيمٍ

اجتباءُ الله  
ليوسفَ ﷺ،  
تخصيصٌ له  
بفيضٍ إلهيّ  
جامعٍ، لكلِّ  
أنواعِ النّعم

(1) ابن جرير، جامع البيان: 15/560.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/215.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/215.

(4) الزمخشري، الكشاف: 2/444.

الاجتباءُ أبلغُ في إنعام الله من الاصطفاء والاختيار، إذ معنى الاجتباء في اللغة يدلُّ على الجمع والتَّجْمَعُ<sup>(1)</sup>، وهو الجمعُ على طريق الاصطفاء والاختيار، وجَبَّيْتَ الشيءَ إذا خَلَّصْتَهُ لِنَفْسِكَ<sup>(2)</sup>، أو خَصَلْتَهُ لِنَفْسِكَ<sup>(3)</sup>، فاجتباءُ الله لعباده: تخصيصُ مَنْ اختارهم واصطفاهم بفيضٍ إلهيٍّ تتَّجَمَعُ له أنواعٌ مِنَ النِّعَمِ بلا سعيٍّ منهم، وتحصيلُهم والاعتناءُ بهم، وكأنَّه خَلَّصَهُمْ لِنَفْسِهِ.

والاجتباءُ: أوسعُ دلالةً من الاختيار والاصطفاء، فالاجتباءُ يتضمَّنُ معنى الاختيار والاصطفاء، فالله تعالى اختارَ يوسفَ من بين إخوته، أو من بين كثيرٍ من خلقه، واصطفاه فخلَّصه من كلِّ شَوْبٍ، واستخلصه لِنَفْسِهِ.

والاجتباءُ اختيارُ معالي الأمورِ لِلْمُجْتَبَى، قال النَّحَّاسُ: وهذا ثناءٌ مِنَ الله تعالى على يوسفَ ﷺ، وَتَعْدِيدٌ فِيما عَدَّدَهُ عَلَيْهِ مِنَ النِّعَمِ الَّتِي آتَاهُ الله تعالى مِنَ التَّمَكِينِ فِي الْأَرْضِ، وتعليمُ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ<sup>(4)</sup>.

### استعمالُ صيغةِ المضارعِ ﴿يَجْتَبِيكَ﴾:

استعملَ القرآنُ صيغةَ المضارعِ في قوله: ﴿يَجْتَبِيكَ﴾: للدلالةِ على حدوثِ الاختيارِ والاصطفاءِ لمعالي الأمور، وأعظمُها النُّبُوَّةُ، وأنَّه اصطفاهُ مُسْتَمِرٌّ مُتَجَدِّدٌ، أَيَّ أَنَّ النُّبُوَّةَ سَتُسْتَمِرُّ فِي أَبْنَاءِ يَعْقُوبَ مِنْ نَسْلِ إِبْرَاهِيمَ، لِتَحُلَّ عَلَى يَوْسُفَ الْبَرَكَةُ، وَتَتِمَّلَ فِيهِ السَّلْسَلَةُ الْمُبَارَكَةُ فِي بَيْتِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ.

اصطفاءُ يوسفَ  
لِلنُّبُوَّةِ مُتَجَدِّدٌ،  
وَبَرَكَتُهُ مُتَجَدِّدَةٌ  
خَالِدَةٌ فِي الْقُرْآنِ  
الْخَاتِمِ

وعلى تصوير مشهدِ الاصطفاءِ فِي الْمُخِيلَةِ، وَالَّذِي يُبْرَزُ وَيُظْهَرُ أَكْثَرَ بِمَا عَطَفَهُ عَلَيْهِ مِنْ بَشَائِرِ مُتَجَدِّدَةٍ جَاءَتْ كَذَلِكَ بِصِيغَةِ الْمَضَارِعِ ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (جبي).

(2) ابن منظور، لسان العرب، والزَّيْدِيُّ، تاج العروس: (جبي).

(3) الأزهرِيُّ، تهذيب اللغة: (جبا).

(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 9/129.

يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ﴿١٠﴾، بما يحمله هذا التصوير ليوسف من طمأنينة بعد أن حذره والده من عداوة الشيطان له وإخوته.

### إِنَارُ التَّعْبِيرِ بِلَفْظِ الرَّبُّوبِيَّةِ ﴿رَبُّكَ﴾:

ذكر البيان القرآني لفظَ الرَّبُّوبِيَّةِ ﴿رَبُّكَ﴾ الذي جاء فاعلاً لفعل الاجتباء، دون لفظِ الألوهية فلم يقل: (وكذلك يجتبيك الله)؛ لأنَّ لفظَ الرَّبُّوبِيَّةِ يدلُّ على التربية والرعاية والعناية والعطاء، وهذا أنسبُ للسياق الذي تضمَّن مفرداتِ ﴿يَجْتَبِيكَ﴾ و﴿وَيُعَلِّمُكَ﴾ و﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ﴾.

### سُرُّ إِضَافَةِ لَفْظِ الرَّبُّوبِيَّةِ إِلَى ضَمِيرِ الْمُخَاطَبِ:

أضاف البيان القرآني لفظَ الرَّبُّوبِيَّةِ ﴿رَبُّكَ﴾ إلى ضميرِ نبيِّ الله يوسف ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾؛ للإشارة إلى مدى عنايته وإحسانه ورحمته ولطفه بيوسف ﷺ وتشريفه ورفع مكانته، وهذا تلميحٌ لقلبه وإزالةً للمخاوف التي قد تكون لحقته ممَّا قد يُضمِّره له إخوته، والمعنى: "وكذلك يجتبيك ربُّكَ المرَّبيُّ لك بالإحسان للملك والنِّبوَّة" (1).

### دَلَالَةُ عَطْفِ الْجُمْلِ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ:

عطفَ الجمل: ﴿يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ و﴿وَيُعَلِّمُكَ﴾ و﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ عطفَ بيانٍ، ونجدُ أنَّ عطفَ البيانِ الإلهيِّ جملةً ﴿وَيُعَلِّمُكَ﴾ على ما قبلها: ﴿يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ بالواو؛ لوجودِ مناسبةٍ بينَ الجملِ المتعاطفة؛ إذ لا يصحُّ العطفُ إذا افتُتِدَتِ المناسبةُ، والمناسبةُ هنا ضمنيَّةٌ في الأفعال، فكلُّها من عطاءِ الله ونعمه على يوسف، والفاعل فيها جميعاً واحدٌ وهو الله ﷻ، والمفعول فيها جميعاً واحدٌ وهو

الرَّبُّ الْمُرَبِّي،  
هو من يجتبي  
ويعلم ويتم  
النَّعْمَةَ

اجتباء الله  
عنايةً وتطميناً  
ليوسف ﷺ

عطاء الله  
ليوسف متكامل  
متنوع فهو  
اجتباء وتعليم  
له وإتمام  
لنعمته عليه

(1) البقاعي، نظم الدرر: 10/18.

يوسفُ ﷺ، وبينها ارتباط وثيق؛ فالاجتباء مرتبط بتعليم الله، كما أنَّ إتمام النعمة مرتبط بالاجتباء والتعليم، ومما حسن الوصل هنا أنَّ الأفعال جميعاً مضارعة تدلُّ على التجدد الحدوثي.

وأما ما يُضيفُه العطف - إذ يقتضي التغاير - فهو زيادة وتنوع العطاء من الاجتباء والاصطفاء إلى تعليمه من تأويل الأحاديث إلى ارتقاء العطاء بإتمام النعمة على يوسف وآل يعقوب بسببه.

### حرف ﴿من﴾ بين التبعية والتوكيد والبيان:

قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾، نجد ﴿من﴾ في قوله تعالى: ﴿(من تأويل)﴾: حرف جرٍّ، يحتمل ثلاثة معانٍ: الأول: توكيديَّة، قاله مقاتل<sup>(1)</sup>، والمعنى: ويعلمك تأويل الأحاديث، والثاني: تبعيضيَّة، والمعنى: ويعلمك بعض تأويل الأحاديث من الرؤيا، وغيرها من كتب الله وسُنن الأنبياء، وغوامض ما تدلُّ عليه المخلوقات<sup>(2)</sup>، والثالث: بيانيَّة، والمعنى: ويعلمك من تأويل الأحاديث أي ذلك الجنس من العلوم<sup>(3)</sup>.

### إيثار لفظ ﴿تأويل﴾ في السياق:

قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾، وفيه عبر البيان القرآني بمفردة ﴿تأويل﴾ دون غيرها من المفردات؛ لكونها أوسع دلالة من غيرها؛ إذ إنَّ التَّأْوِيلَ يُراد به عدَّة معانٍ، منها: معنى التفسير والتعبير والبيان، ومنها الرجوع إلى الأصل، أو ما تؤول إليه عاقبة الشيء؛ فالتأويل مأخوذ من الأوَّل، وهو الرجوع<sup>(4)</sup>، أي التأويل حقيقة الشيء، وما يؤول أمره إليه<sup>(5)</sup>، ومنها معنى التدبير

تنوع دلالات  
حروف المعاني في  
السياق، مفيد  
في تنوع الدلالة

التأويل أنسب  
مع الرؤى  
وغوامض  
الكلام، في مثل  
هذا الموقف

(1) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير: 2/414.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 10/18، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/253.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/253.

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أول).

(5) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 2/11.

والتقدير واستخلاص ما يتحصّل من الرّموز وغوامض الكلام؛ يقال في اللغة: تأوّل أي دبره وقدره وفسّره<sup>(1)</sup>، إذن فلفظُ التّأويلِ أنسبُ مع الرّؤى التي هي في حقيقتها رموزٌ وغوامضٌ تحتاجُ إلى تدبّرٍ وتقديرٍ لاستخلاصِ المعاني الحقيقيةِ المُرادّة، وأنسبُ مع تفسيرِ غوامضِ الكتابِ وسننِ الأنبياءِ التي تحتاج كذلك إلى تدبّرٍ وتقديرٍ واستخلاصٍ للمعاني الحقيقيةِ، لا مجردَ الوقوفِ على المعاني الظّاهرة.

ولوعبرَ القرآنُ بغير هذه اللفظةِ (التّأويل) ، لفاتت هذه المعاني، وخاصّة التّأويلُ بمعنى التفسير بما يؤوّل إليه الشّيءُ أي عاقبته، والمعنى المرادُ والواقعُ في الوجود على الحقيقة، قال أبو السّعود: "وتسميةُ التّعبيرِ تأويلاً؛ لأنّه جعل المرئيَّ آيلاً إلى ما يذكره المعبرُ، بصدد التّعبيرِ ورجّعه إليه، فكأنّه ﷺ، أشار بذلك إلى ما سيقعُ من يوسفَ ﷺ، من تعبيره لرؤيا صاحبي السّجنِ ورؤيا الملك، وكون ذلك ذريعةً، إلى ما يبلغه الله تعالى إليه من الرّئاسة العُظمى التي عبّرَ عنها بإتمام النّعمة"<sup>(2)</sup>.

### معنى ﴿الْأَحَادِيثُ﴾، وسرّ استعمالها في السّياق:

قوله تعالى: ﴿وَبُعِّلِمَك مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾، وفيها ذكر المفسّرون معنيين لمفردة ﴿الْأَحَادِيثِ﴾، هما:

الأوّل: الأحاديثُ هي الرّؤى، قاله مجاهد، وسُمّيت أحاديث؛ لأنّ الرّؤى بمعناها العامّ إمّا حديثُ نفسٍ أو ملكٍ أو شيطانٍ، وتأويلُها عبارتها وتفسيرُها، فكان يوسفُ ﷺ أعبرَ النّاسَ للرّؤيا وأصحّهم عبارةً<sup>(3)</sup>، وسُمّي تعبيرُها تأويلاً؛ لأنّه يؤوّل أمرُها إلى ما رأى في

الْعَالُومُ  
الْيُوسُفِيُّ وَهَبِيَّةُ  
لِدُنْيَا، رَفَعَتْهُ  
مَكَانًا عَلِيًّا

(1) الزبيدي، تاج العروس: (أول).

(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/254.

(3) الرّمخسري، الكشاف: 2/444.

منامه، والتأويل ما يؤول إلى عاقبة الأمر<sup>(1)</sup>، والمعنى: ويُعلمك ربك من علم ما يؤول إليه أحاديث الناس مما يروونه في منامهم، وذلك تعبير الرؤيا<sup>(2)</sup>.

الثاني: الأحاديث هي كتب الله وسنن الأنبياء، وما غمض واشتبه على الناس من أغراضها ومقاصدها<sup>(3)</sup>، والعلم والحكمة كما ورد عن ابن زيد<sup>(4)</sup>، وتأويلها بأن يفسرها لهم ويشرحها، ويدلهم على مودعات حكمها، وسميت أحاديث، لأنه يحدث بها عن الله ورسوله، فيقال: قال الله وقال الرسول كذا وكذا، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 185]، ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ [الزمر: 23] وهو اسم جمع للحديث وليس بجمع أحداث<sup>(5)</sup>، وفي هذا إشارة إلى أن أجل النعم، وأشرف العلوم: علم تأويل كتاب الله ﷻ<sup>(6)</sup>.

ومن ثم يتبين لنا سر التعبير بالأحاديث دون الأخبار؛ إذ إنه رغم التقارب الدلالي في المعنى بينهما، إلا أن الحديث يشمل كل كلام يبلغ الإنسان من جهة السمع، أو الوحي في يقظته، أو منامه<sup>(7)</sup>، ويشمل حديث النفس، يُقال: فلان يحدث عن نفسه بكذا، وهو حديث النفس، ولا يُقال يُخبر عن نفسه ولا هو خبر النفس<sup>(8)</sup>، وفي معنى الحديث الجدة، من قولهم: "استحدثت خبراً أي وجدت خبراً جديداً"<sup>(9)</sup>، بما يشير إلى أن ما علمه الله إياه من التأويل هو علوم جديدة.

### إيثار لفظ الإتمام:

عبر البيان القرآني بلفظ إتمام النعمة ﴿وَيُنِمْ نِعْمَتُهُ﴾، ولم يقل: ويُعم عليك؛ إشارة إلى أنه سبحانه وصل ليوسف وآل يعقوب نعمة الدنيا بنعمة الآخرة، بأن جعلهم أنبياء في الدنيا وملوكاً، ونقلهم عنها إلى الدرجات العلا في الجنة<sup>(10)</sup>.

(1) البغوي، معالم التنزيل: 4/214، واللاوردي، التكت والعيون: 3/8.

(2) ابن جرير، جامع البيان: 15/560.

(3) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 3/155.

(4) أبو حيان، البحر للحيط: 6/239.

(5) الزمخشري، الكشاف: 2/445.

(6) الطيبي، فتوح الغيب: 8/255.

(7) الزاغبي، المفردات: (حدث).

(8) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 41.

(9) الجوهري، الصحاح: (حدث).

(10) الزمخشري، الكشاف: 2/445.

الْتَّمَامُ الْمَطْلُوقُ  
فِي حَقِّ الْبَشَرِ،  
لَيْسَ إِلَّا النَّبُوءَةُ

وإشارةً إلى أنَّ هذا العطاءَ وهو إتمامُ النِّعمةِ أعلى وأكملُ من العطاءاتِ السابقة من الاجتباءِ والتَّعليمِ؛ إذ إنَّ في الاجتباءِ والتعليمِ نعمةً؛ فلو عبَّرَ بقوله: وينعمُ عليكِ لكان في الكلامِ تكرارٌ.

ولما في التعبيرِ بالإتمامِ من الدِّلالةِ على أنَّ إتمامَ النِّعمةِ عبارةٌ عمَّا به تصيُّرُ النِّعمةِ تامَّةً كاملةً خاليةً عن جهاتِ النُّقصانِ، قال الرَّاغِبُ: "تَمَامُ الشَّيْءِ: انْتِهَاؤُهُ إِلَى حَدٍّ لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ خَارِجٍ عَنْهُ"<sup>(1)</sup>، وهذا ما جعلَ الرَّازِيَّ يُرَجِّحُ أنَّ معنى إتمامِ النِّعمةِ هو النَّبُوءَةُ؛ إذ قال: "وما ذاكَ في حَقِّ الْبَشَرِ إِلَّا بِالنَّبُوءَةِ، فَإِنَّ جَمِيعَ مَنَاصِبِ الْخَلْقِ دُونَ مَنْصِبِ الرِّسَالَةِ نَاقِصٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى كَمَالِ النَّبُوءَةِ، فَالْكَمَالُ الْمَطْلُوقُ، وَالتَّمَامُ الْمَطْلُوقُ فِي حَقِّ الْبَشَرِ لَيْسَ إِلَّا النَّبُوءَةُ"<sup>(2)</sup>.

ومن إتمامِ النِّعمةِ على يوسُفَ ﷺ، أَنْ يُخَلِّدَ اللَّهُ ذَكَرَهُ فِي الْقُرْآنِ، وَأَنْ تَكُونَ لَهُ سُورَةٌ كَامِلَةٌ سُمِّيَتْ بِاسْمِهِ، وَأَنْ يَبْقَى قَدْوَةٌ لِلأُمَّةِ الْخَاتِمَةِ فِي الصَّبْرِ وَالْعِفَّةِ وَالِدَّعْوَةِ، وَالْعَفْوِ وَالْمَسَامَحَةِ وَالتَّخْطِيطِ الْاِقْتِسَادِيِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ، مِمَّا تَحْمِلُهُ قِصَّتُهُ مِنْ مَعَانٍ إِيْمَانِيَّةٍ وَتَرْبَوِيَّةٍ، وَأَنْ يَصِفَهُ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ ﷺ بقوله: «الْكَرِيمُ بْنُ الْكَرِيمِ بْنِ الْكَرِيمِ بْنِ الْكَرِيمِ يَوْسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ» ﷺ<sup>(3)</sup>.

### فائدة التعبير بـ: ﴿عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ﴾:

يفيدُ التعبيرُ القرآنيَّ ﴿عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ﴾، بأنَّ نِعمةَ اللَّهِ على الْعَبْدِ نِعمةٌ على مَنْ يَتَعَلَّقُ بِهِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَأَقَارِبِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَأَنَّهُ رُبَّمَا شَمِلَتْهُمْ، وَحَصَلَ لَهُمْ مَا حَصَلَ لَهُ بِسَبَبِهِ؛ إِذْ لَمَّا تَمَّتِ النِّعْمَةُ عَلَى يَوْسُفَ، حَصَلَ لِآلِ يَعْقُوبَ مِنَ الْعِزِّ وَالتَّمَكُّنِ فِي الْأَرْضِ، وَالسُّرُورِ وَالْغِيبَةِ مَا حَصَلَ بِسَبَبِ يَوْسُفَ<sup>(4)</sup>.

إِتْمَامُ النِّعْمَةِ  
بِلَمِّ الشَّمْلِ،  
مِنْ أَكْبَرِ مَا يَنَالُهُ  
الْمُنْعَمُ عَلَيْهِ

(1) الرَّاغِبُ، الْفُرْدَاتِ: (تَمَّ).

(2) الْفَخْرُ الرَّازِي، مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ: 18/421.

(3) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الْأَنْبِيَاءِ، الْحَدِيثُ رَقْمُ: (3210).

(4) السَّعْدِيُّ، تَبْسِيرُ الْكَرِيمِ الرَّحْمَنِ، ص: 407.

## دلالة معنى حرف الجرّ (على):

قوله تعالى: ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ﴾، نجدُ في استعمالِ حرفِ الجرِّ (على) الذي يفيّدُ الاستعلاء، وفي تَكَرّره بعد العطفِ إشارةً إلى عُلُوِّ مكانةٍ وشرفِ النعمة التي أكرمَ الله بها يوسفَ، وأتمّها عليه وعلى آلِ يعقوبَ، وإحاطتها به وبهم، وشمولها وتمكّنها.

نعمة الله على  
يوسفَ مُتَمَكِّنَةً  
عالية الشرف  
والإعظام  
والجدارة

وفي مجيئها في سياقِ التّكريمِ بالاجتباءِ والتّعليمِ وإتمامِ النّعمة على يوسفَ وآلِ يعقوبَ بسببه إشارةً إلى عُلُوِّ ورفعةٍ وعظمةٍ شأنِ يوسفَ ﷺ.

## معنى الواوِ في: ﴿وَعَلَىٰ﴾:

الواوُ في قوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ﴾ عاطفةٌ، والمعطوفُ عليه هو قولُ الله سبحانه: ﴿عَلَيْكَ﴾، والمعنى العامُّ الذي يجمعُ المعطوفَ والمعطوفَ عليه هو إتمامُ النّعمة على يوسفَ وآلِ يعقوبَ، ولكن إتمامُ النّعمة على يوسفَ يختلفُ عن إتمامها على آلِ يعقوبَ اختلافَ السببِ عن المسبّبِ؛ إذ كان إتمامُ النّعمة عليه بالنّبوة، أو بسعاداتِ الدّنيا وسعاداتِ الآخرة سبباً في إتمامِ النّعمة على إخوته وأهله وأقاربه بما تحصّل لهم من العزِّ والتّمكين، وبذلك اكتملت - بهذا العطف - صورةُ إتمامِ النّعمة على يوسفَ ﷺ.

إتمام النّعمة  
على يوسفَ  
بالنّبوة، وعلى  
آلِ يعقوبَ  
بالتّمكين

## التشبيه في: ﴿كَمَا أَتَمَّهَا﴾:

التشبيهُ في قوله: ﴿كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾، تذكيرٌ له بنعمٍ سابقةٍ، وليست ممّا دلّت عليه الرّؤيا أن جعلَ إبراهيمَ وإسحاقَ ﷺ أبوين له، لأنّ لهما ولادةً عليه، فهما أبواه الأعلىان بقرينة المقام، كقول النّبي ﷺ: «أنا ابنُ عبدِ المطلب»، وبذلك اجتمع ليوسفَ ﷺ من عراقة النّسب ما لم يجتمع لأحدٍ من العالمين إلّا لنبيّنا محمّدٍ ﷺ، حيث إنّ نسبَ يوسفَ ﷺ، مُسلسلٌ بالأنبياء،

في التشبيه تذكيرٌ  
ليوسفَ بنعمٍ  
سابقةٍ على  
أبويه إبراهيمَ  
وإسحاقَ

قال ﷺ: «الكَرِيمُ بْنُ الْكَرِيمِ بْنِ الْكَرِيمِ بْنِ الْكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ» ﷺ (1).

ثُمَّ إِنَّ كَانَ الْمُرَادُ مِنْ إِتْمَامِ النِّعْمَةِ النُّبُوءَةَ، فَالْتَّشْبِيهُ تَامٌ، وَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ مِنْ إِتْمَامِ النِّعْمَةِ الْمَلِكَ فَالْتَّشْبِيهُ فِي إِتْمَامِ النِّعْمَةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ (2).

معنى (ما)، وموقع الجملة بعده:

(ما) في قوله تعالى: ﴿كَمَّا أَتَمَّهَا﴾ مصدرية، والمصدر المؤول (ما أتَمَّها) في محلِّ جرٍّ بالكاف متعلِّقٌ بمحذوفٍ مفعولٍ مطلقٍ عامله يُتَمُّ، والمعنى وَيُتَمُّ نعمته عليك إتمامًا كائنًا كإتمامِ نعمته على أبويك (3).

(ما) المصدرية،  
بيان لعظم  
النعمة على  
يوسف

بلادة الإطناب في السياق:

قوله تعالى: ﴿كَمَّا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾، عبر البيان الإلهي عن المعنى بالفاظٍ زائدةٍ عليه، فلم يكتفِ بقوله: ﴿كَمَّا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ﴾، وهو لفظٌ مجملٌ، بل أتبعها بتفصيله بقوله: ﴿إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾، وفي هذا الإطناب زيادةٌ ومبالغةٌ في إدخال الطمأنينة على نفس يوسف ﷺ بذكر إبراهيم وإسحاق ﷺ.

في الإطناب  
مبالغة  
في إدخال  
الطمأنينة على  
نفس يوسف  
ﷺ

دلالة تصدير الجملة بأداة التأكيد:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، وفيه صدرَ البيان الإلهي الجملة بـ (إِنَّ) للاهتمام لا للتأكيد؛ إذ لا يشك يوسف ﷺ في علم الله وحكمته، والاهتمام ذريعةً إلى إفادة التعليل، والتفريع في ذلك تعريضٌ بالتثناء على يوسف ﷺ، وتأهله لمثل تلك الفضائل (4).

اهتمام يومئ  
إلى عناية الله  
بيوسف بما  
يطمئن قلبه  
ويخمي

(1) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، الحديث رقم: (3210).

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/217.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/254.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/217.

وفي هذا الاهتمام بما يبشّره به من الاجتباء والتعليم وإتمام النعمة تسهيل لما سيناله من المشقات والكروب مع إخوته، وفي السجن، وغير ذلك؛ لأنه من علم أن المكاره والمشقات تفضي إلى خير وراحة تسلى بها، وهانت عليه مشقتها، وسهلت عليه وطأتها، وحصل بذلك من اللطف شيء عظيم، وهذا من جملة اللطف الذي أشار إليه سيدنا يوسف في قوله في آخر القصة: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: 100].

### نكتة التعبير بلفظ الربوبية:

كرّر البيان القرآني لفظ الربوبية ﴿رَبُّكَ﴾ مرتين؛ في قوله: ﴿يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾، وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾؛ لكون هذا اللفظ أنسب للسياق من لفظ الألوهية، كما سبق، وفي تكريره تأكيد على رعاية الله وعنايته بيوسف ﷺ.

التأكيد على  
عناية الله  
وحفظه ليوسف



وأما تكرار إضافته في المرة الثانية إلى ضمير نبي الله يوسف ﷺ ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾؛ فهو للتأكيد على عناية الله به وتشریفه له، وأنه المدبّر لأمره، أي إن ربك سيتولّى أمرك، وسيرعاك ويحفظك ويوصلك إلى تلك الكرامات.

### مناسبة الفاصلة للسياق:

جاءت الفاصلة ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ متمكنة في نظم الآية ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾؛ لتحسين الكلام، وإحكام معناه؛ أمّا تحسين الكلام؛ فلما في التشابه بينها وبين ما قبلها ﴿مُبِينٌ﴾ وما بعدها ﴿لِّلْسَالِينَ﴾ من العذوبة وراحة النفس.

لا يقدر على تمام  
النعم، إلا بليغ  
العلم والحكمة

وأما إحكام المعنى: فقد جاءت مستقرّة في مكانها، مطمئنة في موضعها، غير نافرة ولا قلقة، بل تشكل جزءاً من معنى الآية، ولو

طُرحت لاختلّ المعنى؛ لارتباطها بما قبلها ارتباطاً وثيقاً، فإنّ سياق الآية يمهّد للفاصلة بما يُعرف بالتّصدير والتّوشيح؛ أمّا التّصدير: فقد تقدّمت لفظة الفاصلة ﴿عَلِيمٌ﴾ بمادّتها في أثناء الآية ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ فأشارت إلى فاصلتها ﴿عَلِيمٌ﴾ إشارةً لفظيّةً جليّةً.

وأما التّوشيح: فقد تضمّنت الآية ما يُشعرُ بالفاصلة ﴿حَكِيمٌ﴾ إشعاراً معنويّاً لطيفاً؛ فإنّه لما كان الاجتناء والتّعليم وإتمام النّعمة لا يُقدّر عليه إلّا بليغ العلم المحيط بجميع الأسباب؛ ليُقام منها ما يصلحُ، وبلغ الحكمة في وضع الأشياء في أقرن مواضعها، وكان السّياق بالعلم، وما ذُكر من علم التّأويل لما كان كذلك ختمها بقوله تعالى: ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(1)</sup>.

#### فائدة تقديم ﴿عَلِيمٌ﴾ على ﴿حَكِيمٌ﴾ في الآية:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، وفيه قدّم البيان القرآني ﴿عَلِيمٌ﴾ على ﴿حَكِيمٌ﴾؛ لأمرين: الأوّل: مناسبة السّياق الذي هو بالعلم أولى لما ذُكر من علم التّأويل، مع ما تقدّم من قوله آخر سورة هود ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [هود: 123] الآية، وما شاكل ذلك أوّل هذه، قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾<sup>(2)</sup>. والثاني: تقديم السّبب على المسبّب؛ لأنّه أسبق؛ إذ الإحكام ناشئ عن العلم.

#### توجيه التشابه اللفظي في آية يوسف (6):

في سورة يوسف قدّم البيان القرآني ﴿عَلِيمٌ﴾ على ﴿حَكِيمٌ﴾ لمناسبة السّياق كما ذكرنا، وفي سورة الأنعام قدّم ﴿حَكِيمٌ﴾ [الأنعام: 83] على ﴿عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: 83] في الآيتين، وذلك لمناسبة السّياق أيضاً، ففي قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾

من بلاغة البيان  
القرآني، تقديم  
الأنسب للغرض

من دقائق  
بلاغة القرآن  
الكريم تقديم  
ما يتناسب مع  
السّياق

(1) البقاعي، نظم الدرر: 10/19 - 20.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 10/20.

نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ [الأنعام: 83] لَمَّا كَانَتْ  
مَحَاجَّتُهُ لَهُمْ عَلَى قَانُونِ الْحِكْمَةِ بِالْعَالَمِ الْعُلُوِّيِّ الَّذِي نَسَبُوا الْخَلْقَ  
وَالْتَّدِيرَ بِالنُّورِ وَالظُّلْمَةِ إِلَيْهِ، وَكَانَ فِي خَتَامِ مَحَاجَّتِهِ لَهُمْ أَنَّ الْجَارِيَّ  
عَلَى قَانُونِ الْحِكْمَةِ أَنَّ الْمَلِكَ الْحَقُّ لَا يُهَيِّنُ جُنْدَهُ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ،  
وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ فِي الْاِسْتِدْلَالِ عَلَى الْبُعْثِ الَّذِي هُوَ مُحِطٌ بِالْحِكْمَةِ؛  
كَانَ الْأَنْسَبُ أَنْ يَقْدَّمَ فِي خَتَمِ الْآيَةِ وَصَفُ الْحِكْمَةِ فَقَالَ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ  
حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾ (1) [الأنعام: 83]، إِذْنِ فَالْمَحَاجَّةُ تَقْتَضِي الْحِكْمَةَ فَنَاسَبَ  
تَقْدِيمُ حَكِيمٍ عَلَى عَلِيمٍ.

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشَرُ الْجِنِّ قَدْ اِسْتَكْبَرْتُمْ  
مِّنَ الْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اِسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا  
أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ  
إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأنعام: 128]، لَمَّا كَانَ السِّيَاقُ - فِي مِثْلِ هَذِهِ  
الْمُقَاوَلَةِ فِي مَجْمَعِ الْحُكْمِ - لِلْحِكْمَةِ وَالْعِلْمِ، وَكَانَ النَّظَرُ إِلَى الْحِكْمَةِ  
فِي تَنْزِيلِ كُلِّ شَيْءٍ مَنْزِلَةً أَعْظَمَ قَدَمَ وَصَفَهَا فَقَالَ: ﴿حَكِيمٌ﴾ [الأنعام: 128] أَيْ  
فَلَا يُعَذِّبُ الْمَخْلُصَ وَيُتْرَكُ الْمَشْرِكُ، وَلَا يُعَذِّبُ بَعْضُ  
مِنَ أَشْرَكَ وَيُتْرَكُ بَعْضُ، ثُمَّ أَتَى بِوَصْفِ ﴿عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأنعام: 128] أَيْ  
الْعَلِيمُ بِدَقَائِقِ الْأُمُورِ وَجَلَائِلِهَا مِنَ الْفَرِيقَيْنِ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ عَمَلُ  
أَحَدٍ فِيهِمُ لَهُ لَذَلِكَ (2)، وَفِي الْآيَةِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ مَا أَوْصَلَهُمْ إِلَى هَذَا  
الْمَصِيرِ إِلَّا اِفْتِقَادُهُمُ الْحِكْمَةَ فَنَاسَبَ تَقْدِيمُ حَكِيمٍ، كَمَا أَنَّ السِّيَاقَ  
هَنَا سِيَاقُ الْحَشْرِ وَالْفَصْلِ وَالْحُكْمِ عَلَيْهِمْ، وَهَذَا كُلُّهُ يَتَنَاسَبُ مَعَ  
اسْمِ اللَّهِ الْحَكِيمِ.

### بِلَاغَةُ التَّذْيِيلِ فِي التَّعْلِيلِ بِالْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ:

جَمَلَةٌ ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، تَذْيِيلٌ بِتَمَجِيدِ هَذِهِ النِّعَمِ، وَأَنَّهَا

نِعْمَ اللَّهُ تَعَالَى  
كَائِنَةً، وَفُقِّ  
عِلْمُهُ وَحِكْمَتُهُ،  
بِمَنْ يَصْلُحُ لَهَا

(1) البقاعي، نظم الدرر: 7/169.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 7/269 - 270.

كائنةً على وَفْقِ عِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ، فَعَلِمَهُ هُوَ عِلْمُهُ بِالنَّفُوسِ الصَّالِحَةِ  
لهذه الفضائل، لَأَنَّهُ خَلَقَهَا لِقَبُولِ ذَلِكَ فَعَلِمَهُ بِهَا سَابِقٌ، وَحَكْمَتُهُ  
وَضَعُ النُّعْمِ فِي مَوَاضِعِهَا الْمُنَاسِبَةِ<sup>(1)</sup>.

### ❁ الفُرُوقُ الْمُعْجَمِيَّةُ:

#### الاختيارُ والاصطفاءُ والاجتباءُ:

تتقاربُ هذه الألفاظُ في دلالاتِها اللُّغَوِيَّةِ، إِذْ يُعْرَفُ كُلُّ مِنْهَا  
بِالْآخِرِ فِي اللُّغَةِ، وَرَبَّمَا يُسْتَعْمَلُ أَحَدُهَا مَكَانَ الْآخَرِ، إِلَّا أَنَّا إِذَا  
أَمَعْنَا النَّظَرَ فِي مَعْنَاهَا اللُّغَوِيَّةِ نَجِدُ أَنَّ هُنَاكَ فُرُوقًا بَيْنَهَا تَمَيِّزُهَا،  
ويظهرُ هذا من خلال الآتي:

الاختيارُ: مِنَ الْخَيْرِ وَيَدُلُّ فِي أَصْلِهِ عَلَى الْعَطْفِ وَالْمَيْلِ، وَالْخَيْرُ:  
خِلَافُ الشَّرِّ<sup>(2)</sup>، واختاره: انْتَقَاهُ وَاصْطَفَاهُ، واختارَ الشَّيْءَ عَلَى  
غَيْرِهِ فَضَّلَهُ عَلَيْهِ<sup>(3)</sup>، والاختيارُ: طَلَبُ مَا هُوَ خَيْرٌ وَفَعْلُهُ<sup>(4)</sup>، والاختيارُ:  
الاصطفاءُ، وَفِي عُرْفِ الْفُقَهَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ هُوَ ضِدُّ الْإِكْرَاهِ<sup>(5)</sup>.

والاصطفاءُ: مِنَ الصِّفْوِ وَيَدُلُّ فِي أَصْلِهِ عَلَى خُلُوصٍ مِنْ كُلِّ  
شَوْبٍ<sup>(6)</sup>، وَصَفْوَةُ الشَّيْءِ مَا صَفَا مِنْهُ وَخُلِصَ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ صَفْوَةُ  
اللَّهِ مِنْ خَلْقِهِ وَمُصْطَفَاهُ، أَي: خَالِصُهُ وَمُخْتَارُهُ، وَاصْطَفَاهُ: اخْتَارَهُ  
وَاسْتَخْلَصَهُ<sup>(7)</sup>، وَكَأَنَّهُ أَخَذَهُ لِأَنَّهُ أَصْفَى جَنْسِهِ أَوْ أَجْوَدُهُ<sup>(8)</sup>.

والاجتباءُ: يَدُلُّ فِي أَصْلِهِ عَلَى الْجَمْعِ وَالتَّجَمُّعِ<sup>(9)</sup>، فَالاجْتِبَاءُ:

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/217.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خير).

(3) الزَّيْدِيُّ، تاج العروس، ومجمع اللغة العربية، للعجم الوسيط: (خير).

(4) الرَّاعِبُ، المفردات: (خير).

(5) السَّمِينُ الْحَلَبِيُّ، عمدة الحقاظ: (خير).

(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صفو).

(7) الزَّازَنِيُّ، مختار الصحاح، والزَّيْدِيُّ، تاج العروس: (صفا).

(8) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (صفو).

(9) ابن فارس، مقاييس اللغة: (جبي).

الاختيارُ  
انتقاء الخير،  
والاصطفاءُ  
تخليص مَنْ  
اختاره مِنْ  
كُلِّ شَائِبَةٍ،  
والاجتباءُ  
تخصيصه به

الْجَمْعُ عَلَى طَرِيقِ الْأَصْطِفَاءِ وَالِاخْتِيَارِ، وَجَبَّيْتَ الشَّيْءَ إِذَا خَلَصْتَهُ لِنَفْسِكَ<sup>(1)</sup>، أَوْ خَصَلَّتْهُ لِنَفْسِكَ<sup>(2)</sup>، وَاجْتَبَأَ اللَّهُ لِلْعَبْدِ تَخْصِيصَهُ إِيَّاهُ بِفَيْضٍ إِلَهِيٍّ يَتَحَصَّلُ لَهُ مِنْهُ أَنْوَاعٌ مِنَ النِّعَمِ بِلا سَعْيٍ مِنَ الْعَبْدِ<sup>(3)</sup>.  
نَخْلَصُ مِمَّا سَبَقَ إِلَى أَنْ: اخْتِيَارَ اللَّهُ عِبَادَهُ هُوَ انْتِقَاءُ خَيْرِهِمْ، وَاصْطِفَاؤُهُمْ تَخْلِيصُ مَنْ اخْتَارَهُمْ مِنْ كُلِّ شَائِبَةٍ، وَاجْتِبَاؤُهُمْ: تَخْصِيصُ مَنْ اخْتَارَهُمْ وَاصْطِفَاهُمْ بِفَيْضٍ إِلَهِيٍّ تَتَجَمَّعُ لَهُ أَنْوَاعٌ مِنَ النِّعَمِ بِلا سَعْيٍ مِنْهُمْ، وَتَحْصِيلُهُمْ وَالِاعْتِنَاءُ بِهِمْ، وَكَأَنَّهُ خَلَصَهُمْ لِنَفْسِهِ.

### التَّأْوِيلُ وَالتَّفْسِيرُ:

بين لفظي (التَّأْوِيلُ، وَالتَّفْسِيرُ) تَقَارُبٌ دَلَالِيٌّ كَبِيرٌ حَيْثُ يَشْتَرِكَانِ فِي مَعْنَى الْبَيَانِ وَالتَّوْضِيحِ، وَلِهَذَا بَعْضُ الْعُلَمَاءِ لَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَهُمَا، وَعَدَّوهُمَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ، وَبِالْمُقَابِلِ مِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا، وَذَكَرَ لِكُلِّ مِنْهُمَا مَلَامَحَ دَلَالِيَّةٍ تَمَيِّزُهُ عَنِ الْآخَرِ، وَذَلِكَ عَلَى النَّحْوِ الْآتِي:  
أَوَّلًا: أَصْلُ التَّفْسِيرِ مِنْ (فَسَرَ)، وَهُوَ بَيَانُ شَيْءٍ وَإِيضَاحُهُ<sup>(4)</sup>، وَكَشْفُ الْمَغْطَى<sup>(5)</sup>، وَأَصْلُ التَّأْوِيلِ مِنْ (الْأَوَّلِ) وَهُوَ الرُّجُوعُ إِلَى الْأَصْلِ، وَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ هُوَ عَاقِبَتُهُ وَمَا يُؤَوَّلُ إِلَيْهِ<sup>(6)</sup>، وَرَدُّ الشَّيْءِ إِلَى الْغَايَةِ الْمُرَادَةِ مِنْهُ قَوْلًا كَانَ أَوْ فِعْلًا<sup>(7)</sup>.

ثَانِيًا: التَّفْسِيرُ: إِفْرَادُ مَا انْتَضَمَ ظَاهِرُ التَّنْزِيلِ، وَأَمَّا التَّأْوِيلُ: فَهُوَ الْإِخْبَارُ بِغَرَضِ الْمُتَكَلِّمِ، أَيْ اسْتِخْرَاجُ مَعْنَى الْكَلَامِ لَا عَلَى ظَاهِرِهِ، بَلْ عَلَى وَجْهِ يَحْتَمِلُهُ مَجَازًا أَوْ حَقِيقَةً، وَمِنْهُ يُقَالُ تَأْوِيلُ

التَّفْسِيرُ  
الْبَيَانُ الْوَاضِحُ  
بِالدَّلِيلِ،  
وَالْتَأْوِيلُ بَيَانُ  
مَا غُمِضَ مَعِ  
تَعَمُّقٍ وَتَبْصُرٍ

(1) ابن منظور، لسان العرب، والزَّيْدِيُّ، تاج العروس: (جبي).

(2) الأزهري، تهذيب اللغة: (جبا).

(3) الزَّاغِبِ، المفردات: (جبي).

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فسر).

(5) الزَّيْدِيُّ، تاج العروس: (فسر).

(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أول).

(7) الزَّاغِبِ، المفردات: (آل).

المُتَشَابِه<sup>(1)</sup>، فالتأويل: الرجوع باللفظ عن ظاهره إلى معنى يستقيم به ذلك اللفظ<sup>(2)</sup>.

ثالثاً: التفسيرُ أعمُّ من التأويل، فالتفسيرُ قد يُقال فيما يختصُّ بمفردات الألفاظ وغريبها، وفيما يختصُّ بالتأويل، ولهذا يُقال: تفسيرُ الرؤيا وتأويلها<sup>(3)</sup>.

رابعاً: التفسيرُ: البيانُ الواضحُ بالحجة والدليل، والتأويلُ: بيانُ ما غمضَ معناه، واشتبهت مقاصده، واحتاجَ إلى تعمقٍ وتبصُّرٍ، أي "التفسيرُ ما كان راجعاً إلى الرواية، والتأويلُ ما كان راجعاً إلى الدرایة"<sup>(4)</sup>.

### الأحاديث والأخبار:

الحديثُ أعمُّ  
من الخبر،  
فالحديثُ يشملُ  
حديث النفس،  
والرؤيا في المنام

بين لفظي (الأحاديث، الأخبار) تقاربٌ دلاليٌّ في معناهما، ويُستعمل كل واحدٍ منهما باسم الآخر، فيقال للحديث خبرٌ وللخبر حديثٌ، إلا أنه يوجد بينهما بعضُ الفروق الدلالية، وهي:

أولاً: الحديث: أصله من (حدث)، وهو كَوْنُ شيءٍ لم يكن، ومنه الحديث: كَلَامٌ يَحْدُثُ مِنْهُ الشَّيْءُ بَعْدَ الشَّيْءِ<sup>(5)</sup>، أمَّا الخبر: فأصله من العلم بالشَّيْءِ، فالله تعالى الخبيرُ، أي العالمُ بكلِّ شيءٍ<sup>(6)</sup>، والخبر: ما أتاك من نبيٍّ عَمَّنْ تستخبرُ، وسألَ عن الخبر: عَرَفَهُ على حقيقته<sup>(7)</sup>.

ثانياً: الحديث: في الأصل هو ما تُخبرُ به عن نفسك من غير أن تُسندَه إلى غيرك، وسُمِّي حديثاً؛ لأنَّه لا تقدّم له، وإنَّما هو شيءٌ

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 58.

(2) السمين الحلي، عمدة الحفاظ: (فسر).

(3) الرّاعب، المفردات: (فسر).

(4) ابن عطية، المحرر الوجيز: 1/5.

(5) ابن فارس، معاني اللّغة: (حدث).

(6) ابن فارس، معاني اللّغة: (خبر).

(7) ابن منظور، لسان العرب، ومجمع اللغة العربية، للعجم الوسيط: (خبر).

حدث لك فحدثت به، وأمّا الخبر: فهو القول الذي يصح وصفه بالصدق والكذب، ويكون الإخبار به عن نفسك، وعن غيرك، وأصله أن يكون الإخبار به عن غيرك<sup>(1)</sup>.

ثالثاً: الحديث يشمل كل كلام يبلغ الإنسان من جهة السمع، أو الوحي في يقظته، أو منامه<sup>(2)</sup>، ويشمل حديث النفس، يقال فلان يحدث عن نفسه بكذا، وهو حديث النفس، ولا يقال يخبر عن نفسه ولا هو خبر النفس<sup>(3)</sup>.

رابعاً: الحديث فيه معنى الجديد، فيمكن أن يقال للخبر الجديد حديث، من قولهم: "استحدثت خبراً، أي وجدت خبراً جديداً"<sup>(4)</sup>، ومن ثم فإن الحديث من الكلام هو الذي يبدأ به المتكلم أول مرة، كأنه يحدثه ويوجدّه قبل غيره؛ لذلك يقتضي أن يكون جديداً، والحديث من الكلام هو المحدث الجديد الذي يتضمن أحدث الأفكار والحكم والمواعظ<sup>(5)</sup>، ولهذا سمى الله تعالى القرآن أحسن الحديث في قوله: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ [الزمر: 23].

خامساً: الحديث أعم من الخبر من جهة أنه يشمل كل كلام يبلغ الإنسان من جهة السمع، أو الوحي في يقظته، أو منامه، ويشمل حديث النفس، في حين أن الخبر لا يشمل حديث النفس والرؤيا في المنام.

### التَّمَامُ وَالْكَامِلُ:

يتقارب لفظ التمام والكمال، ومن العلماء من عدّهما مترادفين، لذلك صح أن يقع أحدهما موقع الآخر، وهما وإن اتّحدا في المعنى العام فإنهما يفترقان عن بعضهما بمعانيهما الخاصة، وبيان ذلك:

التَّمَامُ يَقَابِلُ  
نُقْصَانَ الْأَصْلِ،  
وَالْكَامِلُ يُطَابِقُ  
نُقْصَانَ الْوُضُفِ  
بَعْدَ تَمَامِ الْأَصْلِ

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 41.

(2) الزاغبي، المفردات: (حدث).

(3) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 41.

(4) الجوهري، الصحاح: (حدث).

(5) زيدان، الفروق اللغوية في القرآن الكريم، ص: 469.

أولاً: التَّمام: هو دليلُ الكمال، يُقال: تَمَّ الشَّيْءُ إِذَا كَمَلَ<sup>(1)</sup>، والتَّمامُ: الإتيانُ بما نقصَ مِنَ النَّاقِصِ<sup>(2)</sup>، فهو ضدُّ النَّقْصانِ، وهو عبارةٌ عن انتهاءِ الشَّيْءِ إلى حدٍّ لا يحتاجُ إلى شيءٍ خارجٍ عنه<sup>(3)</sup>. والكمالُ: يدلُّ على تمامِ الشَّيْءِ، يُقال: كَمَلَ الشَّيْءُ فهو كاملٌ أي تامٌّ<sup>(4)</sup>، وكمالُ الشَّيْءِ حصولُ ما فيه الغرضُ منه<sup>(5)</sup>، وقيل الكمالُ: الانتهاءُ إلى غايةٍ ليس وراءها مَزِيدٌ من كلِّ وجهٍ<sup>(6)</sup>.

وقد ذكر العسكريُّ الفرقَ بين الكمالِ والتَّمامِ: وهو أنَّ الكمالَ: اسمٌ لاجتماعِ أبعاضِ الموصوفِ، والتَّمامُ: اسمٌ للجُزءِ الذي يتمُّ به الموصوفُ<sup>(7)</sup>. وقيل منَ الفروقِ أيضاً: ثانياً: الكمالُ: الزَّيادةُ على التَّمامِ، فالكمالُ تمامٌ وزيادةٌ، والتَّمامُ يستدعي سبْقَ نقصٍ بخلافِ الكمالِ<sup>(8)</sup>.

ثالثاً: التَّتميمُ يَرُدُّ على النَّاقِصِ فيَتَمِّمُهُ، والتَّكْميلُ يَرُدُّ على المعنى التَّامِّ فيُكْمِلُهُ؛ إذِ الكمالُ أمرٌ زائدٌ على التَّمامِ، فالتَّمامُ يقابلُ نقصانَ الأصلِ، والكمالُ يُطابقُ نقصانَ الوصفِ بعد تمامِ الأصلِ<sup>(9)</sup>.

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (تم).

(2) الرِّيْدِي، تاج العروس: (تمم).

(3) السَّمين الحليّ، عمدة الحَقَّاف: (تمم).

(4) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (كمل).

(5) الراغب، المفردات: (كمل).

(6) الرِّيْدِي، تاج العروس: (كمل).

(7) العسكري، الفروق اللُّغويَّة، ص: 263.

(8) الرِّيْدِي، تاج العروس: (تمم).

(9) الكفوي، الكلِّيات، ص: 296.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55  
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

\*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1445هـ - 2024م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2024م

\*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55  
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-  
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 22، 812 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 7-19-978-9948-768

يشتمل على ارجاعات ببلوجرافية.

مج. 22: المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ- العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 7-19-978-9948-768

\*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-3382819 بتاريخ 2024/02/13م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

\*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

\*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»